البعد التربوي في الطريقة العلاوية

أ . بشير جلطي
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم النفس وعلوم التربية .
جامعة وهران – الجزائر

1. مقدمة

الطريقة العلاوية : تأسست الطريقة العلاوية سنة **1333** هجرية الموافق لـ **1914** ميلادية بمستغانم (الجزائر) على يد الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي . لقد تزامن ظهور الطريقة مع واقع اجتماعي مترديا مزريا ، تدهورت فيه الحياة العلمية والثقافية وانتشرت الرذيلة وسيطر الجهل وزادت نسبة الأمية في أوساط السكان بسبب تحويل كثير من المساجد إلى كنائس وغلق كثير من زوايا التعليم والاستيلاء على أوقافها ، هذه الأحداث تزامنت وظهور الطريقة تزامن مع حدثين هامين هما : الحرب العالميتين وظهور الصحافة المكتوبة ، وسنرى كيف كان لهذين الحدثين أثر على انتشار الطريقة عبر التراب الوطني وعبر العالم[1]

2. رواد الطريقة

: تعاقب على الطريقة العلاوية خمسة مشايخ ، بدءا من الشيخ أحمد البوزيدي منشأ الطريقة التي كانت تسمى في عهده بالطريقة التيجانية الدرقاوية والتي تحولت بما بعد على يد الشيخ أحمد بن مصطفى إلى الطريقة العلاوية الدرقاوية التيجانية ، واستقرت فيما بعد على اسم الطريقة العلاوية في عهد الشيخ عدة بن تونس [2].

3. الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي : (1860م – 1933).

هو أبو العباس أحمد بن مصطفى بن محمد المعروف بالقاضي بن محمد المشهور بأبي شنتوف الوالي الصالح . الملقب بمدبوغ الجبهة . ابن الحاج علي المعروف في وسطه بعليوة.

هناك جانب مهم في سيرة الشيخ ، يتعلق بسرعة الحفظ والبداهة التي تميز بهما كما يذكر في كتابه : (وهكذا أخذت تتوسع عندي دائرة الفهم ، حتى كنت إذا

قرأ القارئ شيئا من كتاب الله تسبق مشاعري إلى حل معانيه بأغرب كيفية في زمن التلاوة).[4]

بهذه الفطرة أو الموهبة في سرعة الحفظ والفهم إلى جانب أخلاقه الممتازة بويع بإجماع القوم شيخا للطريقة وفي هذا يقول : (وعزم الفقراء على اجتماع عام يكون بزاوية الأستاذ ﷺ، ولما تم الاجتماع تحت أنظار كبار الفقراء ، وكان من ملتهم حضرة العارف بالله الشيخ سيدي الحاج محمد بن يلس التلمساني الذي تولى خطابا يذكر فيه ما يحتاج إليه المقام ، ثم وقعت البيعة من جميعهم قولا) [5].

ويمكن لنا أن نفهم رأي الطريقة العلاوية التربوي من خلال الأبعاد المعرفية والفلسفية التي تميز بها شيوخ الطريقة وهي كالتالي:

فلسفته: لقد عاصر الشيخ موجة الإلحاد في الفلسفة المادية الطبيعية والوجودية، هو ما جعلاه ينتبه إلى الأخطاء التي وقعت فيها في مبحث الإلهيات وهو يعيب عليها تمسكها بالمناهج العلمية واعتمادها على العقل وفي هذا الشأن يقول:(لفلاسفة عاجزين عن إدراك ما وراء المادة، والمعنى أنه لا يعول عليهم في الإلهيات كما يعول عليه في الماديات والسبب في ذلك استخدام العقل فيما وراء طوره واسترساله فيما لا يدريه بدون دليل يعتمده ولا برهان يعول عليه فحتما ينقلب خاسئا وهو حسير) [6].

لأن الأدلة التي يقدمها العقل للوصول إلى الحقيقة تبقى عاجزة ، فمن هذه الأدلة أن العقلاء لا يجتمعون على الحقيقة الواحدة ويقرون بنسبتيها وبطبيعة الاختلاف بين القول ، في أن الحقيقة الإلهية واحدة لا اختلاف فيها ، ومن هنا كانت هذه الوسيلة المختلفة لا جدوى منها في الوصول إلى الله ، فما دامت عاجزة على الاتفاق فيما هو في طور العقل ، فإنها أعجز فيما هو فوق طوره وفيما لا طاقة له به . ثم أن العقل في نظر الشيخ يعتمد على أدوات الإدراك الحسي ، وهي أدوات معرضة للخطأ وفي هذا الشأن يقول : (ألا ترى أن الله تعالى قد جعل الحواس الخمسة حاكمة على المحسوسات . ولما كان الخطأ قد يتطرق إلى كل حاسة ، جعل الله العقل حاكما عليها ، كي لا تعتد بالخطأ بدل الصواب ، ولما كان العق لا يعدم نصيبه من التقصير أحيانا ، جعل الخق تعالى له الشرع حاكما عليه).[7] وبين الفلسفة

والدين يعتقد الشيخ أن المتأمل في الحقيقة الفلسفية يدرك أن العقل السديد والبصيرة النافذة سببان في العلو بصاحبها والابتعاد عن ما هم كثيف إلى ما هو لطيف. وفي هذا الصدد يقول ابن عليوة : (مما يتبادر إلى الفهم العام من لفظ الفلسفة غالبا أنها عنوان عن سوء العقيدة لما قد يظهر من الإلحاد على بعض المنتسبين إليها ، والحق أن ذلك لا ينسب إلاّ للمتداخلين أو لمن لا تنفذ بصيرته من هذه الكثائف إلى ما وراءها من اللطائف).[8] ويقول الدكتور ساعدي خميستي : (إن هذا الموقف يتفق إلى حدّ بعيد مع ابن عربي الذي يأخذ هو أيضا برأي الغزالي في أن خطأ الفلاسفة في الإلهيات ، كما ينفق معه في أن للفلاسفة حكما وحثا على الأخلاق الكريمة ، ولكن لا ينظر إلى الفلسفة أنها موجبة الإلحاد ، فقد نجد لدى الفيلسوف العلم الحق ، ليس النظري الخاص باجتهادات وأعمال العقل فحسب ، بل حتى في العلم النبوي أو رأي لأحد الصحابة أو التابعين أو من علماء الدين الخالص ، سواء من أهل الظاهر أو أهل الباطن).[9]

إن نظرة الشيخ للفلسفة نظرة إيجابية ومتطورة ، فهي تعكس نظرة المتصوفة للفلسفة شأنه شأن الامام الغزالي وابن عربي ، بل بنظرة أكثر تطور منهما ، لأنه واكب التطور العلمي والحضاري والتغيرات الاجتماعية التي أحدثتها هذه الثورة التكنولوجية ، الأمر الذي جعله يمتلك ناصية التقدم العالم المادي الذي يعبر منه إلى العالم الغيبي .

هذه النظرة لم يستمدها من الفراغ، بل استمد الجزء الأكبر منها من التراث الذي يبني استنتاجاته على منوال المنطق القائل : أن الفلسفة تستمد برهانها من تسلسل العلل إلى ما لا نهاية ، لكن الشيخ يحكم بنهاية لهذا المطاف الفلسفي ، إذ لا بد من الوقوف على علة لا علة لها وهي الله ، ومن هنا كانت الفلسفة الحقة في نظره هي التي تؤدي إلى الحق، والتي لا تختلف مع الأديان . وهذا موقف يتفق مع جل فلاسفة الإسلام، ومع تعريف الكندي أول فلاسفة الإسلام نلاحظ التطابق الكبير بينهما، إذ يقول الكندي في رسالته: (إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان ، لأن غر

الفيلسوف في علمه إصابة الحق و في عمله العمل بالحق ، وأشرف الفلسفة وأعلاها الفلسفة الأولى ، أعني علم الحق الأول الذي هو علة كل حق).10

إن ممارسة الشيخ للفلسفة كانت من منظور صوفي إسلامي، من حيث هو سلوك أخلاقي يرتكز على عقيدة منظمة في نسق من التصورات، الأمر الذي يحقق تكاملا بين النظري والعملي ويجعلهما وجهين لعملة واحدة ن فدور الفلسفة عند الشيخ تساعد المسلم صاحب العقل السديد على نقل القرآن ككتاب إلهي إلى ممارسة عملية أسوة برسول الله (ص) الذي كان خلقه القرآن ، ويعمل بدينه وبعقله على خدمة الحقيقة الدينية ، وتجسيد أسماء وصفات الله التي تليق بكماله ، وتجعله أهلا للخلافة ، ومنى دور الفلسفة كذلك عند الشيخ هي مساعدة الفرد على التأقلم مع تغير الأحوال دون أن يفقد الفرد انتماؤه العقائدي ، كما تساعده على الانسجام مع غيره من بني البشر ، ومع ما تنتج الإنسانية من تقدم .

- نظريته المعرفية:

يرى الشيخ أن نهاية بلوغ الطريق الروحي أو ما يسمى بالولاية الكبرى أو الإسلام الأعظم أو السكر الباطني والصحو الظاهري ، تكون بقيام العقل بوظيفته التحليلية بمنتهى الوضوح ، من دون وجود حاجز مطلق بينه وبين نشوء القلب .

وعن علومه يقول المستشرق بيرك : (عرفت الشيخ العلوي منذ سنة 1921 م إلى سنة 1934 م وشهدته يدنو من الشيخوخة بالتدريج ، إلاّ أن استطلاعه الفكري كان يشتد مضاء يوما بعد يوم ، ولقد ظل حتى النهاية من عشاق البحث الميتافيزيقي والتربية النفسية . وندر من المسائل ما لم يخض فيها ومن الفلسفات ما لم يستخلص لبها ، حيث أن الصوفي ما هو إلاّ عارف بالله ن وليست الصوفية طريقا محفوفا على الجانبين بالمفاتن والمشغلات بقدر ما هي طريق في بيداء كل حجر فيها عرضة لأن يتحول في لحظة فقر إلى غنى هائل ، وكان يستشهد بأقوال الرسول (ص) في ذلك ، فكيمياء العرفان لا تترك الأشياء على ظواهرها ، وإنما تردها إلى لا شيء، أو تجعلها تبدو كأنها سمات لوجه الخالق)[11] .

ويضيف "بيرك" : (كان الشيخ دائم الظمأ لمعرفة الأديان الأخرى ، ويبدو أنه كان على علم واسع بالكتب المقدسة ، التوراة والإنجيل ، وحتى فيما يختص بالمأثورات عن أباء الكنسية).

نوايا الإستشراق معروفة في مثل هذه الدراسات فهم يحاولنا دائما أن يثبتوا نسبة التصوف إلى الديانات الأخرى ، وإن صح على الشيخ معرفته بالدين المسيحي أو التراث المسيحي كما يقولون ، فدلك لفضول زائد الغرض منه تبين حدود الضلال الذي وقعت فيه المسيحية عندما قالت بالتثليث في الوقت الذي وصل فيه العقل الأوربي على أن واحد لا يساوي ثلاثة ، وتلك خطته في دعوة الأوربيين .

الشيخ المرشد المربي :

يعرف عن الشيخ أنه كان مرشدا مربيا مجددا، وهو ما يصرح به في ديوانه:

أنا الساقي المجدّد حامي الحمى والوفود

والحق حق لا يـر بالرغم عن الجحود

صرح يا راوي باسم العلاوي بعد الدرقاوي خلفه الله

عند ما قال هذا كان في أول أربعينيات ، كان يشع منه ضياء عجيب ، وكان لشخصه جاذبية لا تقاوم ، وكان ذا نظرة سريعة صافية ذات سحر فوق المعتاد ، وكان لطيف المعشر ، جم الأدب ، شديد التواضع ، لينا حريصا على تحاشي الصدام ، وكان يشعر المرء بأنه في قرارة نفسه متثبت بهدفه منطو على نار خفية تحرق ما تتسلط عليه في لحظات قلائل ، وحين يتكلم كان يتمهل كأنه يستمد من مدد خارجي مع السيطرة على القلوب وجمعها نحو نقطة المذاكرة بكيفية عجيبة ، وكان يذاكر كل واحد على قدر عقله ، وبالنظر لأخلاقه يخيل للفرد أنه المحبوب الوحيد عنده ، وكان إذا خرج من مكانه تبعه خلق كثير وساروا وراءه في الشارع كأنهم مشددون إليه بحبال خفية). [12]

الإشعاع الروحي للشيخ العلاوي :

اهتم الشيخ أحمد بن مصطفى بالغرب ، وهو اهتمام راجع لتفتحه الفكري للثقافات والديانات والفلسفات الأخرى ، وفي هذا من يراه أنه كان قرين المسلمين

الأوائل الذين درسوا الفكر اليوناني والهندي ، وهذا شأن المجددين ، كما يقول إيريك يونس جوفروا .

فقد كان متفتح على الفلسفات الأخرى مثل فلسفة بركسون التي ترتكز على الحدس والإلهام ، وهي مفاهيم تعتمد عليها الفلسفة الصوفية في شرح مسائل الكشف والإلهام . كما كانت له معرفة جيدة بإنجيل يوحنا ورسائل بولس.

إشعاع الشيخ العلوي الروحي كان قويا لدرجة أن مس كثير من الأوربيين سواء كانوا مستشرقين أو زوار عاديين، كلهم أكدوا على جاذبية الشيخ الروحية، ومن بين الشهادات التي نسجلها هنا هي:

شهادة المستشرق أر بيري التي يقول فيه : (أن قداسة الشيخ تذكرنا بالعهد الذهبي للمتصوفة ، حيث لم يعد هناك صوفية حقيقيين بعد الجنيد وابن العربي ، وقد بدأ بالانحطاط وها هو الآن يوجد عارف في القرن جدير بأكبر المشايخ في القرن الوسطى).

شهادة المستشرق أوغستان برك أبو المستشرق الفرنسي المعروف جاك برك المتوفى عام **1995** ، فأوغستان برك جالس الشيخ العلوي منذ عام **1921** حتى وفاته سنة **1934** و كان متأثرا بشخصيته وكتب عنه مقالا يمتدح فيها كمالية الشيخ ، رأى فيه ولي الله من العهد القديم ورجل معاصر في آن واحد ذو رؤى بعيدة المدى [13].

فريتجوف شوان أو عيسى نور الدين أحمد المتوفى سنة **1998** ، فنان سويسري ألماني ، اعتنق الإسلام بباريس ولبس كباقي المعتنقين في ذلك الوقت اللباس الإسلامي التقليدي لجماليته الروحية ، كان يبحث عن الشيخ المربي ، فدله فقير يمني بمرسيليا على الشيخ العلوي ، وعند زيارته مدينة مستغانم ، كان يومها الشيخ مريض لم يقابل شوان إلا مرتين ن لكنه تحصل على إجازة تلقين الأوراد العلوية في جميع الأقطار الأوربية من الشيخ عدة بن تونس خليفة الشيخ العلاوي ، استقر بلوزان سويسرا حيث تجاذب إليه الكثير من المثقفين والكتاب والمترجمين والأساتذة الجامعيين منهم :

تيتوس إبراهيم بوخارث المتوفي سنة 1984 م ن المعروف بأعماله الخاصة في الفن والعمارة الإسلامية ، كان من المباشرين لعمال الصيانة والترميم لمدينة فاس القديمة .

ميشال محمد فالسان توفى عام 1974 وكان في الأصل دبلوماسي من رومانيا مقيما بباريس ، ويعد من أول الدارسين لكتاب محي الدين بن عربي في الغرب ، وأعماله إلى الآن في انتشار واسع ، شغل منصب مدير دراسات الأديان من 1961 إلى 1974وكان شيخ طريقة مستقلة بباريس .[14]

مارتن لينجز أو أبو بكر سراج الدين ، من بريطانيا المتوفى في 12 مايو 2005 عن عمر يناهز 96سنة ن مدير معهد المخطوطات العربية سابقا بلندن ، كان قريبا من الشيخ عبد الواحد يحي بالقاهرة ، كتابه المسمى " ولي صالح مسلم في القرن العشرين " ساهم كثيرا في تعريف الغرب بالشيخ العلاوي .[15]

هذه الشهادات المتعددة أكدت أن للشيخ العلاوي تأثير وجاذبية يمارسهما على بعض الأوربيين الذين انخرطوا في طريقته والتي لعبت دورا مهما في نشر التصوف في فرنسا وفي بلاد أوربية أخرى ، كما أن هذه الجاذبية أكدت على سمة الولاية التي كان يمثلها بين طبيعة المحيط الذي وجد فيه ليمثل التصوف .

– مؤلفاته:

بدأ الشيخ العلاوي الكتابة منذ أن كان تلميذا ينتسب للشيخ محمد البوزيدي ، في هذه الفترة ألف أربعة كتب هي المنح القدوسية و مفتاح الشهود وشرح منظومة شيخه ومخطوط المواد الغيثية وبرهان الخصوصية في الطريقة البوزيدية ، ثم توقف عن الكتابة بسبب الحرب العالمية الثانية واقتصر على تأليف القصائد التي كان ينشدها أتباعه في مجالس الذكر ، بعد نهاية الحرب استأنف نشاطه الفكري والثقافي ، وفي نفس السنة أصدر كتابه ' القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف) دفاعا عن التصوف وأهله ردا على كتاب مرآة لإظهار الضلالات) للشيخ عثمان بن المكي ، واستمر في الكتابة والتأليف حتى بلغت كتبه ورسائله سنة 1930 حوالي ستة وعشرون كتابا ورسالة سلك فيها مسلك المحققين ن فلا يصدر عنه قول من غير تمحيص وتحقيق ن ويمكن تصنيف مؤلفاته على النحو التالي :

أولا في العقيدة والعبادات :

1 . الرسالة العلوية في بعض من المسائل الشرعية (منظومة في ألف بيت)

2 . مبادئ التاييد فيما يحتاج إليه المريد (جزآن)

3 . القول القبول فيما تتوصل إليه العقول

4 . النور الأثمد ي وضع اليد على اليد

5 . الأجوبة العشرة (لايزال مخطوطا)

6 . قواعد الإسلام (بالفرنسية)

ثانيا : في التصوف والفلسفة

1 . المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية

2 . القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف

3 . رسالة الناصر المعروف في الذب عن مجد التصوف

4 . القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد .

5 . المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية (جزآن)

6 . الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية ، وسماه الشيخ الأبحاث الابتدائية في التعاليم العلوية .

7 . برهان الخصوصية في الطريقة البوزيدية (مخطوط)

8 . معراج السالكين ونهاية الواصلين .

9 . الديوان (شعر)

10 . الحكم العلوية

11 . دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار .

ثالثا : التفسير

1 . البحر المسور في تفسير القرآن بمحض النور (جزآن)

2 . لباب العلم في تفسير سورة والنجم

3 . مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر

4 . الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد ن ويسمى أيا بكتاب النقطة .

رابعا : عناوين مختلفة

1. دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار .

2. المناجاة

3. الوصية

4. مفتاح الشهود في مظاهر الوجود .

كان للشيخ باع طويل في كل المواضيع إلاّ أنه كان يميل إلى موضوع التصوف والتفسير أكثر من أي موضوع آخر

- نشاطه الصحفي:

لتحقيق رسالته الدينية والاجتماعية والأخلاقية اتخذ الصحافة منبرا لبث أفكاره ، فأنشأ أولا مطبعة ، ثم اصدر عام **1923** جريد لسان الدين وغرضها خدمة الدين بأسلوب خصوصي ، لأن الشيخ لم يكن مجرد كاتب صحفي وإنما كان مفكرا عميقا وزعيما إصلاحيا يسعى على تجديد الإسلام وصيانة تعاليمه ، ويسعى فوق ذلك لكي يسترد الدين ما فقده من حيث العمق ، في ا الشأن اصدر سلسلة من المقالات تحت عنوان (حالة مسلمي الجزائر) في اثني عشرة حلقة .

كانت جريد لسان الدين شديدة اللهجة في نقدها اللاذع للأوضاع الاجتماعية والدينية ، مما أدى بالسلطات الاستعمارية إلى إصدار قرار بتوقيفها وهذا بعد العدد الثالث عشر .وكان على الشيخ أن يواجه في تلك الفترة حملة صحفية أخرى أخذت تهاجم نشاطه وتتهمه بالبدع والخرافات ، وتندد بالطرق الصوفية ، فكان لابد من التصدي لهذه الحملة المعادية ، فأنشأ جريدة البلاغ سنة **1926 . 1948** ، وغايتها أنها صحيفة علمية إرشادية ، صدر العدد الأول منها بمستغانم ، ثم انتقت على الجزائر العاصمة وأنشأ لها مطبعة عصرية.

وفي دراسة إحصائية قام بها الأستاذ يحي برقة (ذاكرة التصوف العلاوي) أحصى ما يناهز تسعة وتسعون مقالا في سنة واحدة أما مجموع ما كتبه من مقالات في مسيرته الصحفية فقد وصل إلى مائتين وأربعة(**204**) مقالا في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والصوفية ، وقد اخرج هذه الأعمال في جدول مفصل بعنوان المقال والعدد الذي صدر به وعنوان الجريدة .

4. الشيخ عدة بن تونس : بحارة السويقة بالحي الشعبي تجديت مدينة مستغانم ولد الشيخ عدة بن تونس مع نهاية عام **1315**هـ الموافق لعام **1898**م من أسرة عريقة النسب المعروفة في مستغانم والده السيد ابن عودة مقدم طريقة القدورية ، بحارة السويقة تلقى تعليمه الأولي وفيها تعرف على زاوية سيدي حمو الشيخ ، سنة **1916** يستدعى للجندية ، حيث أن الالتزامات العسكرية لم تثني نشاطه الصوفي ، وبقى على صلة دائمة بشيخه ، بعد انتهاء الخدمة العسكرية انتقل إلى الدراسة في جامع الزيتونة ، يعود بعد سنتين بأمر من شيخه الذي أرسل في طلبه ، وفي هذه المدة عقد القران على ابنة أخت الشيخ العلاوي وصار الشيخ عدة صهرا لشيخه ومقدم للزاوية ، مشرفا على شؤونها التربوية والمالية للزاوية ، وقد عرف الشيخ عدة بسياحته الداخلية والخارجية ، فقد زار المغرب الأقصى والبقاع المقدسة ، وحج مع أستاذه ، كما صاحبه في عدة زيارات ..

المهم أن خلافة الطريقة انتقلت إليه عن طريق وصية عدلية مؤرخة في عام **1931** م بالمحكمة الشرعية بمستغانم .

نشاطات الشيخ الدينية والاجتماعية والتربوية:

المهم أن أول تجربة تربوية استوقفتني في مشوار الشيخ الصوفي هي تربية مساجين القصر ، بطلب منه ،ليتولى إعادة تربيتهم و سلمت له السلطات الفرنسية دفعة من شباب المسلمين الذين ارتكبوا جرائم في سن المراهقة ، هذه التجربة شبيهة بتجربة المربي السوفياتي (سيمونو فيتش انطوان مكارينكو **16** مع الشباب الجانحين في مزرعة ماكيسم غوركي . من حيث التنظيم والخطة والتسيير والبرنامج ، شبيهة بتجربة الشيخ عبد الحميد بن باديس في تكوينه للفرق الرياضية وقريبة الشبه من تجربة مالك بن نبي مع العمال المهاجرين بميناء مرسيليا ، يقول صاحب ببليوغرافية الشيخ : (وكان الشيخ قد أعد نظاما مضبوطا يشرف على تنفيذ هـ الفقراء المعنيون على الشكل التالي : . في الصباح يقومون بتحفيظ سور من القرآن الكريم ، ثم يقدم لهم طعام الفطور ، ثم يوزعون على العمل الذي اختاره كل سجين عند دخوله ، كالعمل في الطباعة أو الفلاحة أو المخبزة أو الميكانيكا أو النجارة ، تحت رقابة الفقراء ، وحين عودتهم من العمل وبعد الاستراحة وبعد صلاة العشاء وتناول طعام

العشاء تعطى لهم دروس في الدين والأخلاق .) ومن نشاطاته التربوية تأسيس جمعية رياضية سنة **1942** تضم فريقا لكرة القدم مكون من أبناء فقراء الطريقة، وقد كان شديد الحرص على ممارسة الرياضة، وتنظيم المباراة، وقد جهز بنفسه فريق الجمعية بالملابس الرياضة المناسبة. إلى جانب ذلك كان يسهر على تنظيم الرحلات التربوية وإقامة المخيمات الصيفية للشبيبة العلاوية ، ويحثهم على تعلّم السباحة . ومن نشاطاته كذلك تكوين جمعية الشبان العلاويين سنة **1936** ، وهي جمعية تهذيبية أخلاقية إرشادية ، تتكون من عموم الشباب السنيين العلاويين ، ومن أهداف الجمعية بث التربية ، وتعليم مبادئ الشريعة ن محاربة التغريب والتفسخ وسياسة الاندماج .

إحياء جمعية التنوير:

هذه الجمعية كانت موجودة في عهد أحمد بن مصطفى العلاوي ثم اختفت ، وأعاد بعثها الشيخ عدة بن تونس .

جمعية أحباء الإسلام سنة 1948 م.

هذه الجمعية مقرها باريس ، أودت لتجمع بين فقراء أوربا و والمسلين الأوربيين والمسحيين .

ومن أعماله بناء الزوايا في كل بلدة يوجد فيها أهل النسبة ، ومن أهم الزوايا التي أنشاها الشيخ عدة بن تونس ، زاوية معسكر وزاوية فرندة وزاوية تغنيف وزاوية زمورة غليزان والسانيا وتنس ، وبالمملكة المغربية انشأ زوايا في كل من تطوان ، طنجة ، والعرايش وسبته والحسيمة و إيمزون ، وامتد نشاطه التأسيسي للزوايا إلى انجلترا حيث أسس فيها إحدى عشر زاوية ، أكبرها مسجد النور بمدينة كارديف .

نشاطاته الصحفية:

نشاط الشيخ الإعلامي كثيف فقد تمثل في تأسيس الجرائد والكتابة فيها ومن أهم الجرائد التي أسسها:

ا ـ جريدة لسان الدين :

سنة **1354**هـ الموافق لـ **1936** م أسس جريدة دينية إسلامية نصف شهرية ، لإعلاء كلمة الدين ، يشرف على تحريرها جماعة من فضلاء الجزائر ، ومديرها

الشيخ محمد محي الدين ، وكانت تصدر بمستغانم في أربعة صفحات ، هدها نشر المبادئ الدينية والتعاليم الإسلامية بين أبناء الجزائر ، والدفاع عن القيم الروحية للطريقة العلاوية ، والدعوة إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية المتردية في أوساط الشباب الجزائري المسلم .

ب . مجلة المرشد

تأسست عام 1365هـ الموافق لـ1946 م، ومن أهم المواضيع التي كانت تتناولها هذه المجلة:التصدي للاستعمار، الدفاع عن التصوف النظيف القائم على الكتاب والسنة، إيقاظ الوعي الإسلامي وغرس الروح الدينية في نفوس أبناء الأمة. محاربة البدع والخرافات، الاعتناء بمشاكل المسامين. هذا النوع من المقالات التي وقعها بنفسه.

مؤلفاته:

1- من آثاره كتاب قواعد الإسلام باللغة الفرنسية(DOGME DE L'ISLAME) ألفه سنة 1947 لقراء اللغة الفرنسية الذين لا يحسنون اللغة العربية، ويشمل جوانب العقيدة، وقواعد الإسلام الأساسية، وقد لقي الكتاب رواجا في الجزائر وأوربا، وفي أفريقيا.

2- كتاب الروضة السنية في مآثر العلاوية :

يشيد فيه بأعمال أستاذه الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ويؤرخ لحياته وأعماله ، وفيه يظهر تأثره الكبير بشيخه ن الكتاب طبع ونشر بالمطبعة العلاوية مستغانم .

3- كتاب فك العقال عن تصريف الأفعال، وهو كتيب مدرسي جمع فيه قواعد تصريف الأفعال، وبعض قواعد النحو. وضعه ليستفيد منه تلاميذ الزوايا .

4 – الدرة البهية في أوراد وسند الطريقة العلاوية ، وهو كتاب جمع فيه الأوراد المأخوذة عن الشيخ العلاوي والشيخ البوزيدي ، والشيخ مولاي أبوا لحسن الشاذلي .

5 – ديوان شعري مملوء بالمقامات والأحوال والفرائض والدرر.

6 – وقاية الذاكرين من غواية الغافلين، وهو عبارة عن ردود على الذين جحدوا الذكر وقد جاء في ثلاثة مباحث مبحث في فضل الذكر ،ومبحث في الجهر بالذكر ، ومبحث في الحركة والاهتزاز في الذكر .

7 – استدراك الهفوات في ترقيع الصلاة ، مخطوط في ثلاثين صفحة لم يطبع

8 – الذكر الملائم في صلحاء مستغانم ، مخطوط لم يطبع .

إن شهرة الشيخ عدة تجاوزت حدود أفريقيا والمشرق العربي مما جعل كثيرا من الشخصيات عبر أوربا وأمريكا تعتنق الإسلام بفضل اتصالهم به .

توفى سنة **1952** عنه عمر يناهز **54** سنة وعهد ولاية الطريقة لابنه الشيخ بن تونس محمد المهدي.

5. الشيخ عدة بن تونس محمد المهدي **1928** . **1975**

ولد بمستغانم و توفي بها، بعد أن كرس حياته في خدمة طريق الله و عباده، فعلم، و هدى، و سلك بالسائرين وجهة الحق الأعلى. تعلم بالزاوية العلاوية بمستغانم، فحفظ القرآن الكريم و هو دون سن البلوغ على يد الشيخ عبد السلام الغماري كما تلقى علوم القرآن و الشريعة الإسلامية و علوم اللغة العربية عن أساتذة أكفاء أمثال الشيخ الحسن بن محمد الطولقي و علوم الشريعة و التصوف على أساتذة آخرين من بينهم والده الشيخ الحاج عدة بن تونس. حفظ القرآن كله في سن الحادي عشرة من عمره وأم الناس في صلاة التراويح في هذا العمر.

انتقلت مشيخة الطريقة العلاوية إليه سنة **1952** فقام بتربية المريدين و توجيه المجتمع توجيها أخلاقيا فاضلا، كما كان يعين المحتاج و يصلح بين الناس. بنى عدة زوايا و مدارس و مساجد بالجزائر و خارجها و أنشأ بمستغانم معهدا للقرآن الكريم و الشريعة الإسلامية بجانب الزاوية، كان يجمع فيه حوالي **150** طالبا من طلاب العلم.

تولى الشيخ المهدي شؤون الطريقة العلاوية بعد وفاة والده الشيخ عدة بالإجماع ، لأن الكل رأى فيه الوارث الكفء للميراث العلاوي حتى أولئك الذين كانوا قد عادوا الشيخ عدة من قبل .

ترك الشيخ مخطوطا في الخطب المنبرية و مئات من الدروس و مذاكرات مسجلة على الأشرطة الصوتية.

6. الشيخ خالد عدلان بن تونس

خالد عدلان بن تونس بن محمد المهدي ولد بمستغانم سنة**1949** ، جده الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ، تربى بين أحضان العلاوية الكبرى بمستغانم حيث تلقى دروسه الابتدائية والقرآن الكريم وعلوم الدين والتصوف على يد والده محمد المهدي ، وكانت دروسه بالزاوية تقع بالتوازي مع الدروس العمومية ، اتجه مبكرا بإذن من أبيه إلى فرنسا ومنها إلى انجلترا لينخرط بكلية الحقوق بجامعة أكسفورد ، ولم يبقى طويلا هناك . عاد أدراجه إلى فرنسا، ليدخل ميدان التجارة فكانت هذه التجارة سببا في احتكاكه بعالم أوربا المادي.

سنة **1975** عاد إلى مستغانم ليحضر مراسيم دفن والده ، لكن عناية الله شاءت أن تجمع مجلس الحكماء وكافة المريدين بمستغانم على مبايعته خلفا لوالده وألزموه بذلك لما كان يظهر عليه من الأهلية ، ومن حينها أصبح الخليفة الرابع على رأس الطريقة العلاوية .

شرع بعد تصدره للمشيخة في تجديد هياكل الطريقة العلاوية عبر مختلف الدول ، ابتداء من الزاوية الأم بمستغانم ،فشيد الزوايا الجزائر وخارجها ، وأضاف إليها عددا من أقسام الدراسة ومكتبات المطالعة ، وأحيى العمل الجمعوي ، فأسس عددا من الجمعيات كجمعية أحباب الإسلام بباريس وبروكسل ، وجمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية بالجزائر ، والكشافة الإسلامية بفرنسا وأخيرا جمعية ارض أوربا بباريس .

إضافة إلى ذلك أسس معهد ألف للإعلام الآلي ، وكان الغرض منه إدخال تراث الصوفي في الحاسوب الآلي .

مؤلفات الشيخ خالد عدلان بن تونس :

أصدر الشيخ عددا من الأعمال الفكرية في شكل مقالات ومحارات ولقاءات إلى جانب مجموعة من الكتب :

التصوف قبل الإسلام

وهو كتاب تناول فيه سيرته الذاتية، والمغزى الجوهري من قواعد الإسلام الخمسة، وأركان الدين الثلاثة، والعلاقة بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، العلاقة الروحية بين الشيخ والمريد، ويختصر هذا السؤال التالي: ما هي مهمتي وعلة وجودي في هذا الكون. وما الحكمة من اختيار الله للإنسان ليكون خليفة الله في الأرض ؟ .

الإنسان الباطني على ضوء القرآن :

يجول الشيخ في حديقة القرآن الكريم ، فيستخر لنا منها الثمار ، ويسبر أغوار بعض الآيات فيطلعنا على المغزى من قصص الأنبياء ، وعلى بعض الحقائق الربانية ، والمعارف اللدنية بأسلوب بسيط ، لا مجال للتصنع والتكلف فيه ، غايته في الأمر أن يطلعنا على الحكمة مما ورد في كتاب الله من الأنبياء والأحكام ، حتى يستنير بقبس من نور الوحي .

نغمة الأنبياء :

تحقيق وتقديم الشيخ خالد عدلان بن تونس لكتابين باللغة الفرنسية :

الأول : هكذا حدثني الشيخ عدة بن تونس للمؤلف ليون لونجي

الثاني عيسى روح الله للفرنسي عبد الله رضا .

وهما كتابان يتناولان ملة من التعاليم الصوفية ، وكيفية السير في طريق الله ، وحقيقة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا السلام .

جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية

تأسست معية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية على يد جماعة من فضلاء الجزائر وأبنائها المخلصين سنة **1991** ، وسميت باسم أحد رجالات التصوف الجزائريين تخليدا لما قام به من أعمال ليلة ، وهو الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي ، وهي جمعية وطنية مقرها الرسمي بمستغانم ولها عدة فروع عبر ولايات الوطن .

أهداف الجمعية :

1 – التربية والتعليم ونشر الثقافة المحمدية ومكارم الأخلاق.

2 – الاعتناء بتراث الشيخ العلاوي وخلفائه الشرعيين .

منهج الجمعية :

إن للجمعية طابع تربوي وروحي واجتماعي وعلمي ، تعتمد في مرجعيتها على أخلاق التصوف ومراميه السامية ذات الأبعاد الإنسانية المستمدة من تعاليم القرآن والسيرة النبوية ، ومن هذه الفكرة تنطلق فلسفة الجمعية في التركيز على الإنسان كعنصر تتلى من خلاله كل معاني السمو الأخلاقي والصفات الحميدة النبيلة ، ذلك أن الإنسان الذي أشارت له فلسفتة الشيخ العلاوي في مقدمة أبحاثه قائلا : (الحمد الله الذي ربط الإنسان بالعلويات السماوية بعد استخلاصه له من أجناسه السفليات فكان بذلك إنسان عين الوجود والنقطة المركزية لدائرة الفضائل والجود مهما كان إنسانا بمعنى المراد من خلق الإنسان لا غير.) ومن أشهر المشاريع الثقافية الاجتماعية التي اعتمدتها الجمعية العلاوية للتربية والثقافة لصوفية مشروع جنة العريف .

جنة العريف :

مصطلح جنة العريف مأخوذ من تاريخ الأندلس الذي يشير إلى ذلك القصر القريب من قصر الحمراء و الذي شيد في أواخر القرن السابع الهجري ، الثالث عشر ميلادي ، ويقع شمال شرق قصر الحمراء فوق ربوة مستقلة تظهر من ورائه جبال الثلج ، وقد غرست في ساحة القصر وأفنيته الرياحين والزهور فائقة الجمال حتى أصبح هذا القصر المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم العليل وقد اتخذه ملوك غرناطة منتزها للراحة والاستجمام . ولما كان الماء هو العنصر الغالب في هذا الإنتاج فإن المؤرخين اختلفوا في تفسير هذا الأمر ، فمنهم من يرى أن العرب الفاتحين القادمين من رحم الصحراء عرفوا قيمة الماء فبرعوا في الاستمتاع به ، والفريق الآخر يرى أن الأندلس عكست في النفس العربية الصورة المبتغاة لجنات الخلد التي وصفها القرآن فصارت فردوسهم على الأرض .

إن الجذور التاريخية لمصطلح جنة العريف، تتكرر في أدبيات كثير من المتصوفة منهم قول الشيخ محمد الحبيب البوزيدي [16]:

هلموا يا إخواني لجنـة العرفـان

ترى كل الأعيان ما لا ترى بالأثمـاد

كلكم أزهـار وأنوار وأسـرار
لكن رؤية الأغيار عمت كل الأكبـاد

وبين النعيم الملموس والنعيم المحسوس ووصلة ، أي بين جنة العريف (القصر) وجنة العرفان (الحقيقة) وصلة لا يفقهها إلاّ المتصوفة ، لأن التصوف في جوهره نوع من التسامي في الروحانية ، والصوفية الأخيار كانوا في الأصل من عشاق الصور الحسية ، ثم ضاقت أماهم دنيا الحس فتساموا إلى دنيا الروح ، وهي دنيا حافلة بمعاني الحب والجمال . ولا يتصوف الرجل إلا بعد أن تنضج روحه و تصبح أقوى من أن تقف على الجمال المحسوس. ومن هنا كانت جنة العرفان تختزل جنة العريف ، كما تختزل الزمن الصوفي ، فهذه الوصلة هي سر النقلة من عالم المحسوس إلى عالم الروحانيات ، وقد علق صاحب كتاب التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق على ديوان ترجمان الأشواق لابن عربي قائلا : (علمتنا التجارب أن الأرض ليست ببعيدة من السماء كل البعد ، فالأرض والسماء في عالم الأخلاق مقتربتان اشدّ الاقتراب ، وقد تكون الظواهر مما يجزم بقوة الصلة الأرضية ، على حين تكون البواطن موصولة الأواصر بأقطار السماء).[17]

أما التجربة العلاوية في شأن جنة العريف فالغرض منها تسخير المعاني الروحية لتطوير عالم الحس ، فهي ضرب من البرجماتية الصوفية التي سارت عليها الطريقة العلاوية ، بهذا المشروع تكتمل الدورة ، كما هو الحال في طريقة جون ديوي التربوية التي ينتقل فيها المعلم بالمتعلم من الواقع ليبني مجموعة من التصورات و المفاهيم ويجرب الحلول ثم يعود إلى الواقع لتطبيق هذه الحلول ،ومن هنا يتطور هذا الواقع ويزداد غنا ، هذا هو الشأن في مشروع جنة العريف الذي نشأ مع الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي في شكل أعمال خيرية ، كانت تتم بتطوع فقراء الطريقة للمحافظة على البيئة وتزيينها .

.ومما يحكى أنه كانت للشيخ العلاوي حديقة صغيرة يهتم بها بنفسه ، و كان يجد راحته فيها . ذلك أن التربية الصوفية عموما لها اهتمام بجمال المكان ، و أنهم كانوا يضفون على الأماكن التي يتواجدون بها جمالا ، كما هو الشأن في الزوايا التي

أنشأت في أماكن موحشة ، لكن سرعان ما أحاطوها بسياج من أشجار ونخيل . حتى تأنس الزائر .

جنة العريفLe jardin du Connaissant تجربة حضارية في مشروع الطريقة العلاوية تقوم على تطوير الواقع باستمرار حتى يستجيب هذا الواقع لحاجيات الناس اليومية دون استنزاف خيرات الأجيال ، هذا المنطق يعمل على إيجاد توازن بين احترام البيئة والتطور الاقتصادي والاجتماعي وتفتح الروح ، هذه العوامل الثلاثة التي هي الواقع الاقتصادي والواقع الاجتماعي والروح تعمل مع بعضها بانسجام متناسق يزيد من بهجة الروح .

ومن هنا فإن سبب التقهقر الطريقة في الجزائر بعد الاستقلال غير مرتبط بنجاح التيار لإصلاحي ، بل يعود إلى سياسة الجزائر التي تبنت الإسلام دينا للدولة ، تقصى فيه كل مظاهر الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية للدين أو للتصوف ، لكن التيار الصوفي واصل وظيفته التربوية والتعليمية كما هو الشأن في الطريقة الرحمانية و العلاوية .

7. الهوامش:

(1) حياة الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي مخطوط بالزاوية العلاوية مستغانم لم يطبع .

(2) الأنوار القدسية الساطعة على الحضرة البوزيدية / دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر / ط 2000 .

– التعرف إلى حقيقة التصوف / أحمد بن مصطفى العلاوي / المطبعة العلاوية مستغانم ، الجزائر ، ط 2 : 1992 .

(3) مبادئ التأييد فيما يحتاج إليه المريد / أحمد بن مصطفى العلاوي / المطبعة العلاوية مستغانم ط : 1989

(4) رسالة الناصر المعروف في الذب عن التصوف / أحمد بن مصطفى العلاوي / المطبعة العلاوية مستغانم ط : 1990

(5) الابحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية / جمعية أخياب الإسلام / باريس ط : 1983

(6) مفاتيح علوم السر في تفسير سورة والعصر / أحمد بن مصطفى العلاوي / المطبعة العلاوية مستغانم / ط؟

(7) منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن / أحمد بن مصطفى العلاوي / المطبعة العلاوية مستغانم / ط .1998

(8) 8 . مفتاح الهود في مظاهر الوجود / احمد بن مصطفى العلاوي / المطبعة العلاوية مستغانم / ط 1982

(9) نثر الدر وبسطه في كون العلم نقطة / أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسن الجزائري (شقيق الأمير عبد القادر) دار الكتاب العلمية ، بيروت / ط 2004

(10) الإشعاع الروحي للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي / إريك يونس جورف / ترجمة درويش العلاوي / المطبعة العلاوية مستغانم / ط ؟

(11) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق / زكي مبارك / منشورات المكتبة العصرية بيروت / ط ؟ .

(12) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري / زكي نجيب محمود / دار الشروق القاهرة / ط 1983 .

(13) صوفي القرن العشرين / مارتن لينج /باريس 1972

(14) مجلة التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي / ساعد خميستي / اشغال الملتقى العاشر 2001 مستغانم

(15) رسالة الشيخ خالد بن تونس إلى ملتقى ذكرى الخمسون لوفاة الشيخ عدة بن تونس ، المنعقد بتاريخ 23، 24 شعبان 1423 الموافق لـ 30 ، 31 أكتوبر 2002 مستغانم .

(16) من أعلام الإصلاح الديني الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي / عوض الله بن حسن مصطفى البحيصي / المطبعة العلاوية مستغانم 1995 .

(17) **Cheikh Al Alaoui Documents et témoignages / John CARTINY / Ed: les Amis de L'islam Paris 1984.**